

صوائت العربية: دراسة وصفية في ضوء علم الأصوات الحديث

Arabic Vowels: A descriptive study

الطالبة: سعاد بلعبّاس
إشراف: أ.د/ عبد الناصر بوعلي
جامعة تلمسان (الجزائر)

ملخص:

لقد تناولت هذه الدراسة موضوع الصّوائت في اللغة العربية (ما يعرف بالحركات) من خلال نظرة علم الأصوات الحديث، استعرضت فيها الطبيعة المخرجة لهذه الزّمرة من الأصوات ومميّزاتها الوصفية و تنوّعاتها النطقية المكتسبة في السياق.

Abstract :

This study tackled the issue of vowels in Arabic language from a phonological perspectives.

Throughout this study, we presented an overview about the place of articulation of these vowels besides their descriptive characteristics and their variety of pronunciation in context in terms of high/low position, loudness, emphatic phases etc.

توطئة:

تتكون اللغة العربية من نسيج متكامل من الأصوات بأنواعها: الصوامت والصوائت و أنصاف صوائت، إضافة إلى الفونيمات غير التركيبية مثل النبر والتنغيم، وقد ظهر الاهتمام باللغة العربية ومكوناتها في وقت ظهرت الحاجة لهذا الاهتمام، وكان دافعا لتكثيف جهود العلماء بدراسة العربية والتفصيل في مكوناتها وقواعدها.

ولقد حظيت أصوات اللغة العربية منذ القرن الثاني الهجريّ بعناية التّحاة فاجتهدوا في ضبط مخارجها وتحديد صفاتها ودرجات انفتاحها وأولهم الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت 175 هـ) في مقدّمة كتاب العين وسيبويه (ت 180 هـ) في كتابه ثمّ تبعهما في ذلك كثير من التّحاة اللاحقين ، منهم أبو بكر محمّد بن السّريّ المعروف بابن السّراج (ت 316 هـ) وأبو الفتح عثمان بن جنيّ (ت 392 هـ) وأبو القاسم محمود الرّحشريّ جار الله (ت 538 هـ) و أبو يعقوب يوسف السّكاكي (ت 626 هـ) و أبو البقاء يعيش موقّق الدّين بن يعيش (ت 643 هـ) و محمد بن الحسن الرّضويّ الإستراباذيّ (ت 686 هـ). لكنّ التّأليف فيها كان مع ذلك قليلا . فلا نظفر في

هذا الباب تقريبا إلا بكتاب ابن جني (ت 392 هـ) الموسوم ب: سر صناعة الإعراب ورسالة أسباب حدوث الحروف لأبي علي الحسين بن سينا (ت 428 هـ) و كتاب مخارج الحروف وصفاتها لأبي الأصبع بن الطحان الإشبيلي (ت 560 هـ)، مع كتب كثيرة خصّصت للتجويد لعل من أبرز مؤلفيها أبا محمد بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ) و أبا عمرو عثمان الدائلي (ت 444 هـ) وأبا الخير شمس الدين بن الجزري (ت 833 هـ).

أما في العصر الحديث فلقد أدى اطلاع اللغويين العرب على العلوم الصوتية الغربية إلى إعادتهم النظر في التراث الصوتي العربي وإعدادهم دراسات كثيرة في أصوات اللغة العربية استثمروا فيها المعارف الصوتية الحديثة . ولعل أول من فتح الباب في هذا الاتجاه إبراهيم أنيس (ت 1978 م) بكتابه الأصوات اللغوية الذي صدر سنة 1944، غير أن الملاحظ على هذه الدراسات جلّها أنّها وُجّهت اهتمامها إلى الأصوات الصامتة، فلم تأخذ الصوائت قدرا من الدراسة والاهتمام مقارنة بالصوائت التي تشكّل جذر الكلمة وهيكلها الرئيس.

1/ مفهوم الصوت اللغوي: الصوت اللغوي هو المظهر المادي للغة، ويوصف بأنه لغوي حتى لا يختلط بالأصوات غير اللغوية التي تصدر عن غير الإنسان. « فالكلمة لا تتكوّن إلا من أصوات لغوية بالمعنى المصطلح عليه، وهذا الاصطلاح هو الذي يفرّق بين لغة ولغة، فكلّ قوم اصطالحوا على مجموعة من الأصوات يعبرون بتأليفها عن أغراضهم¹ ».

ويعد هواء الزفير بالنسبة للإنسان المادة الخام لأي صوت لغوي إذ ينشأ « من ذبذبات مصدرها الحنجرة لدى الإنسان، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات، حتى تصل إلى الأذن² ».

وتُصنّف الأصوات اللغوية التي تتكوّن منها الكلمة في الدراسات الصوتية كما هو معلوم من حيث نوعها إلى قسمين كبيرين: قسم للصوائت (consonnes) وآخر للصوائت (voyelles).

فإذا صادف الهواء الصادر من الرئتين بضغط من الحجاب الحاجز عائق يمنع عبوره كليا أو جزئيا إلى الخارج في موضع ما، عُرف الصوت الناشئ بهذا الوصف بالصامت نحو: /ب/، /ت/، /ج/... إل، وقد أطلق عليه العرب مصطلح "الحروف الأصول" ومنها يتكون جذر الكلمة، وعددها في الغربية ثمانية وعشرون صوتا، يدخل فيها الواو والياء غير المديتين.

أما إذا حلى مجرى الهواء من أي اعتراض يؤدي إلى احتكاك مسموع، وخرج الصوت حرا طليقا سُمِّي ذلك بالصائت ويُعرف في العربية بالحركات؛ كالفتحة والضمة والكسرة.³ إضافة إلى أصوات المدّ الواو والألف والياء - ما يُعرف بحروف العلة في التراث العربي نحو: قال يقول قيل - إذن فأساس التمييز بين الصوامت والصوائت يعتمد على عنصر جوهري في تصنيفهما إلى زميرتين اثنتين، وهو وجود الاحتكاك الذي يحدث جراء ذلك الاعتراض أو الإعاقة في موضع ما بالنسبة إلى الزمرة الأولى، أي **الصوامت**، وخلوه من أي اعتراض أو احتكاك يُذكر بالنسبة إلى الزمرة الثانية، أي **الصوائت**، وهذا الذي سنتولاه بالدراسة ههنا، وقد تنوّعت تسمياتها لدى الدارسين والباحثين في هذا المجال بالحركات والمصوّتات والصّوائت والعلل وأصوات المدّ واللين إلى غير ذلك.

2/ ماهية الصوائت: الصّوائت اللّغوية وحدات صوتية منطوقة تصحب الحروف الصوامت. وتذكر بحاسة السّمع كسائر الأصوات. وتتموضع تموضعا خاصّا مع كلّ صائت. وتحدث عن طريق مرور الهواء المنبعث من الرّئتين بالوترين الصّوتيين فتحصل نغمة حنجريّة. واللسان أوضاع مختلفة في أثناء النّطق به يمرّ الهواء بها . وتشكّل معه منطقة التجويف الفموي بطرق تميّز بها كلّ حركة عن غيرها من غير أن يعترض على الهواء المنبعث من الرّئتين شيء آخر.⁴

ويقدم الإمام الرّازي (604هـ) تعريفا عامّا للصّوائت فيقول: «الحركة صوت مخصوص يوجد عقيب اللّفظ بالحرف».⁵ ويصف المحدثون الصّوائت بأنّها «صوت مجهور يحدث في أثناء النّطق به أن يمرّ الهواء حرّا طليقا خلال الحلق والفم. دون أن يقف في طريقه أي عائق أو حائل. ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقا من شأنه أن يحدث احتكاكا مسموعا».⁶ وأنّها صوت مفرد غير مرّكب، ينتج بحدّ أقصى من الاستمرار والإسماع، وبحدّ أدنى من الاحتكاك الذي يحصل في الحروف.⁷

ولما كانت الصّوامت سواكنا في الأصل لكونهنّ أصواتا مجرّدة قابلة للتّكليف والتحريك حيّ بهذه الصّوائت ليتمكّن من النّطق بالحروف وبناء الكلم منهنّ؛⁸ لأنّ الحرف الساكن لا يجري فيه الصّوت، فإذا حرّك انبعث الصّوت في الحركة ثمّ انتهى إلى الحرف.⁹

3/ تصنيف الصوائت: تُصنّف الصّوائت غالبا في الدراسات اللغوية الحديثة وفق الاعتبارات الآتية:

3-1/ حسب موضع اللسان داخل الفم:

لا شك أن المرونة والحركة التي يتميز بها اللسان عن أعضاء النطق كلها هي التي مكنته من أن يتخذ عدة أشكال وأوضاع لها أهمية قصوى في إنتاج الصوائت. فإذا تجمع اللسان في مقدم الفم أسفل الحنك الصلب أو الغار تكونت الصوائت الأمامية. وإذا تكتل أقصى اللسان في مؤخر الحلق عند الطبق(اللين) حدثت الصوائت الخلفية. أما إذا انخفض اللسان في قاع الفم مقابل الغار تكونت الصوائت الوسطى.¹⁰

3-2/ حسب درجة انفتاح مخارج الصوائت: وتوصف الصوائت بأنها متسعة أو منخفضة إذا كانت المسافة بين اللسان والحنك الأعلى كبيرة.

أما إذا ضاقت هذه المسافة، بحيث لا يمكن أن يبلغ هذا الضيق حدّ التأثير في إعاقه الهواء أو احتكاكه، عرف الصائت الذي ينتج بهذا الوصف بالضيق. وبين هاتين الدرجتين من الانفتاح توجد درجات أخرى تمثلها صوائت مختلفة بحيث تقترب من ذلك الاتساع وذلك الضيق ولا تتعداهما.¹¹

3-3/ حسب ارتفاع اللسان أو انخفاضه في الفم: إذا كان اللسان عند نقطة إنتاج الصائت منحدرًا إلى قاع الفم وُصف الصوت منخفضًا؛ لأن اللسان ينخفض عند مخرجه في الفم. ويكون الصائت مرتفعًا إذا وصف عكس ذلك.¹²

3-4/ حسب شكل الشفتين: تتخذ الشفتان في حين النطق بالصوائت أوضاعًا مختلفة إلى جانب وضع اللسان:¹³

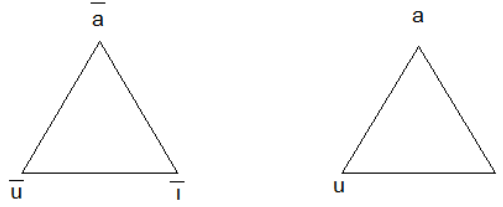
1- وضع الاستواء مع صوائت الفتح.

2- وضع الانفراج مع صوائت الكسر.

3- وضع الاستدارة مع صوائت الضم.

3-5/ حسب كمية الصوائت: تُقسّم الصوائت في أغلب اللغات عند معظم الدارسين من حيث الكم الزمني قسمين: قصيرة و طويلة.¹⁴

ويبدو أنه كان في السامية « نظام حركي بسيط جدا ينحصر في ثلاث حركات تحيى كل واحدة منها إما طويلة وإما قصيرة ويمكن تصوير هذا النظام هكذا:»¹⁵



وهذا ما نجده قارا في اللغة العربية، وهذا النظام الأساسي لا تكاد تخلو منه أي لغة من اللغات الإنسانية المعروفة .

4/مقاييس الصوائت: تلعب الصوائت دورا كبيرا في التمييز بين اللغات، فهي التي تحدد

طبيعة أي لغة من حيث نطقها وتركيبها. وقد وجد الدارسون صعوبة كبيرة في تمثيل الصوائت تمثيلا صوتيا مضبوطا في جهاز النطق على عكس الصوامت.

ثم إن اختلافها من لغة إلى أخرى ووضوحها، وعلو قوة الرنين فيها، وكثرة دوراتها في الكلام يجعل محاولة النطق بها من قبل الأجنبي شاقا عسيرا يحتاج إلى جهد كبير لصعوبة وصفها، على خلاف الصوامت التي يشترك في نطقها كثير من اللغات.¹⁶

هذه العوامل وغيرها جعلت العلماء والباحثين يجتهدون في استنباط مقاييس عامة بها تُقاس كل لغة وتُنسب إليها، فكان من ذلك ما قام به دانييل جونز إثر تجاربه الدقيقة في هذا المجال، إذ تم اقتباس هذه المقاييس من عدد من اللغات المشهورة لتتوافق فيها أي لغة من اللغات.¹⁷

وانتخبت فيها ثمانية صوائت، فأصبحت مقاييس رئيسية يُعَوَّل عليها في الدراسة الصوتية ولا سيما في تعلم اللغات.

ونظرا لأهمية اللسان في تشكيل الصوائت كما ذكرنا من قبل، تم تحديد المقاييس بناء عليه ووفق محورين، المحور العمودي أو خط العرض، والمحور الأفقي أو خط الطول.

ففي المحور العمودي من اللسان أو خط العرض جزءان، جزء أمامي وجزء خلفي:¹⁸

* أما الأول، فيخص مقدمته بما فيها وسطه وما يقابله من وسط الحنك أو الغار ويتكون فيه أربع نقاط تمثل أربعة صوائت تأتي على درجات متفاوتة في الارتفاع صوب الحنك.

* فأعلى نقطة يمكن أن يصل إليها اللسان في اتجاه الغار بحيث يبقى المجال متسعا نوعا ما لخروج الهواء دون إحداث أدنى احتكاك ممكن رُمز إليها بالرمز (i) وتمثل الكسرة المرفقة في العربية. ولكن لو زاد ارتفاع اللسان ههنا عن حده سُمع الخفيف، فيخرج الصوت من دائرة الصوائت إلى محيط الصوامت.

* وأدنى نقطة يمكن تحديدها من الجزء الأمامي للسان فهي حين يصل إلى قاع الفم، وذلك لإنتاج الفتحة المرقق (a).

* و أما الآخر-أي الجزء الخلفي من اللسان أو أقصاه- فيختص به حين يتجه إلى ما يقابله من أقصى الحنك أو الطبق اللين.

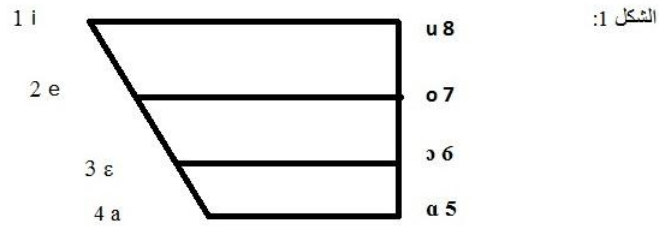
وتتشكل في هذا الجزء من اللسان أربع نقاط يمثل أعلاها ارتفاعا الرمز (u)، ولو تعدى اللسان حال النطق بهذا الصوت مخرجه لدخل إلى منطقة الصوامت لاحتمال حدوث الاحتكاك.¹⁹

ويُرمز لأدنى نقطة يصلها أقصى اللسان إلى قاع الفم (أي الحنك السفلي) بالرمز (a) وهي تمثل الفتحة المفخمة.

وبين أعلى نقطة وأدناها من الجزء الأمامي للسان والخلفي منه، يوجد مقياسان آخران، متعاقبان هما (e و ε)، بين (i و a)، ثم (o و α) بين (u و α) وتُقرأ من اليمين إلى اليسار على الترتيب.

وبهذا يتكون لدينا ثمانية صوائت هي مقاييس معيارية تمثل كل اللغات.

والشكل الآتي يوضح مواضع الصوائت المعيارية* وأرقامها المعروفة بها:²⁰



تمثله الكلمة الفرنسية (si)	←	1 - الصوت (i) رقم
تمثله الكلمة الفرنسية (thé)	←	2 - الصوت (e) رقم
تمثله الكلمة الفرنسية (même)	←	3 - الصوت (ε) رقم
تمثله الكلمة الفرنسية (la)	←	4 - الصوت (a) رقم
تمثله الكلمة الفرنسية (pas)	←	5 - الصوت (α) رقم
تمثله الكلمة الألمانية (somme)	←	6 - الصوت (ɔ) رقم
تمثله الكلمة الفرنسية (rose)	←	7 - الصوت (o) رقم
تمثله الكلمة الألمانية (gut)	←	8 - الصوت (u) رقم

5/ الطبيعة الصوتية للصوائت العربية وتنوعاتها النطقية: اعتمدنا في دراستنا لهذه الصوائت على أساس عامل موقع اللسان من الفم، فصنفناها إلى أمامية وخلفية كما يأتي:

5-1/ الصوائت الأمامية: رأينا فيما سبق أن الصوائت الأمامية هي تلك الأصوات التي يتجمع مقدم اللسان بما فيه وسطه نحو الطبق الصلب أو الغار. وهي في العربية صوتان اثنان، فونيم الكسر وفونيم الفتح، وتنوع منطوقات كل فونيم إلى تحقيق مجموعة من الأصوات الفرعية تدعى في الدراسة الصوتية الحديثة باسم الألوфон (ALLOPHONE)²¹

4-1-1- صائت الكسر: (ب) ← (Bi)

الكسرة في العربية تتكون بارتفاع مقدمة اللسان قليلاً نحو الغار فيكون المنفذ واسعاً لا يعيق مرور الهواء عبره، إذ يخرج حراً طليقاً، دون أي احتكاك يذكر. وتتخذ الشفتان وضعاً منفرجاً بحيث تكون زاويتا هاتين الشفتين مسحوبتين إلى الوراء.²²

وهذا الوصف للكسرة العربية أقرب إلى الصائت المعياري رقم (1) أو يكاد ينطبق مع فرقين اثنين:²³

1/ إن مقدم اللسان مع الكسرة العربية أقل ارتفاعاً منه مع المعيارية رقم (1)، فالكسرة العربية إذن حركة ضيقة، ولكن بدرجة أقل من المعيارية.

2/ إن أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان تنحو نحو الخلف قليلاً ؛ أي إن أعلى نقطة في مقدم اللسان حين النطق بالكسرة العربية تكون خلف أعلى نقطة في هذا الجزء من اللسان حال النطق بالحركة المعيارية رقم (1). فالكسرة إذن صائت أمامي ولكن ليس بالدرجة التي توصف بها هذه الحركة المعيارية، نحو: فُتِحَ، رُفِعَ، دُعِمَ.

- أنواع الكسر: إن النطق الفعلي لفونيم الكسر يتحقق بعدد من التأديات الصوتية المتنوعة بحسب السياق الذي يرد فيه، إذ نجد ما يلي:

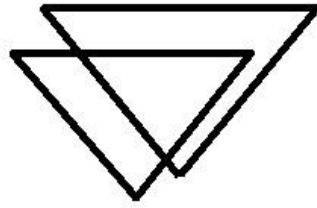
✓ الكسر بين الطول والقصر: يُقصد بطول الصائت وقصره المدى الزمني الذي يستغرقه نطق الصائت. أي ما يُعرف عند علماء الأصوات المحدثين « بالكمية الصوتية ويطلق هذا المصطلح على المدة التي تبقى فيها أعضاء النطق في الموضع اللازم لإنتاج صوت ما. »²⁴

فمدة النطق بالكسرة الطويلة أو الياء المدية أطول زمنا من زمن النطق بالكسرة القصيرة كما في قولنا بيع، وبيع.

إن ياء المد في بيع أدت معنى مختلفا عن المعنى الذي أدته الكسرة في بع، إذن إن التقابل بين الصائت الطويل والآخر القصير أدى إلى تغيير في المعنى وفي الصيغة أيضا، وإن وقع كلا منهما في موقع الآخر.

ومعنى هذا أن كلا منهما فونيم مستقل، فالعربية جعلت من المد الزمني للصائت عنصرا مميزا بآتم معنى الكلمة، إذن إن كل صائت له إحدى الصفتين: الطول أو القصر.²⁵ وإضافة لهذا الكلام لقد أثبتت الدراسة التشرحية أن الخلاف بين الصوائت الطويلة والقصيرة لا يكمن في الزمن أو الكمية فحسب، وإنما في الكيفية أيضا، إذ إن موقع اللسان مع أحد هذين الصوتين مختلف قليلا عن وضعه في أثناء أداء الصوت الآخر كما يتضح من الشكل الآتي:²⁶

/i/ الكسرة القصيرة
/ī/ الكسرة الطويلة



الشكل 2:

وقد تقصُر الصوائت القصيرة عن زمنها العادي إلى أدنى زمن ممكن فتصبح قصيرة للغاية لا يخرجها عن وظيفتها مختلصة أي إنها تنطق مخطوفة لا يستطيع تمييزها إلا حاذق. والاختلاس مصطلح صوتي تراثي يراد به الانتقال من الزمن الطبيعي للصائت، نحو قول سيبويه « وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، وذلك قوله: يضربها ومن مامنك، يسرعون اللفظ، ومن ثم قال أبو عمرو: ﴿ فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ ﴾ (سورة البقرة: 54) ويدلُّك على أنها

متحركة قولهم: من مَأْمِنِكَ، فيتبينون النون، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون.²⁷ وأما الرَّؤْم فهو عند القراء عبارة عن النطق ببعض الصائت²⁸ أو جزء منه.

ويُعرّف اللغويون الروم بأنه « حركة مختلصة مُخفاة » بضرب من التخفيف، وهي أكثر من الاشمام لأنها تسمع.²⁹ فنحن إذن أمام صائت قصير جدا له ما للصائت القصير العادي، لأنه يُسمع. وقد أورد سيوييه ما يبين أن هذا الصوت بقي محتفظا بقدرته على أداء دوره في النسيج المقطعي، قال: « وهي بزنة الحركة وإن كانت مختلصة. »³⁰ إذ أنها تعامل معاملة الصوائت من نحو الضمة والكسرة والفتحة.³¹

ومن ناحية أخرى قد يطول زمن النطق بالصائت الطويل عن زمنه الطبيعي إلى زيادة في امتداده النطقي وذلك في ظروف خاصة... ولا سيما في أثناء قراءة القرآن الكريم فتتحول إلى صوائت طويلة للغاية قد يبلغ مداها عدة ثوان.³² إن هذه التغيرات النطقية في كمية الصوائت لا تمثل فونيمات مستقلة، إذ أن درجة الطول قد نشأت بسبب السياق، ولقد استطاع الباحثون أن يميزوا طائفة من العوامل التي تسبب طولاً أو قصراً مختلصاً في الصوائت أهمها:³³

1- طبيعة الأصوات المجاورة للصائت في السياق.

2- درجة النبر³⁴ ونوعه.

3- تطرف الصوائت.

4- بعض الحالات النفسية.

تتفاوت الصوائت إذن من حيث الطول أو المدى الزمني، إذ يمكن ملاحظة أربع درجات من الطول من أصل درجتين أساسيتين ومميزتين.

- فهناك صوائت قصيرة جدا كالذي رأيناه في الرَّؤْم والاختلاس متفرعة عن الصوائت القصيرة.

- وهناك صوائت طويلة جدا ازدادت طولاً على زمنها الطبيعي المتفرعة عن الصوائت الطويلة.

✓ **الكسر بين الترقيق والتفخيم:** إن الأصوات لا تَسَلَم من تأثير السياق فيها فكما

إن هناك عوامل جعلت من الصوائت تزداد طولاً وتقصّر زمناً عن مداها الطبيعي

كذلك قد تتدخل أسباب أخرى تجعلها مفخمة تارة ومرفقة تارة أخرى.

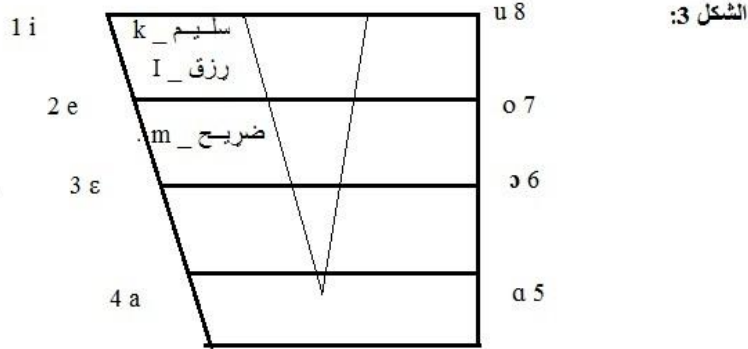
والظاهر أن الأصوات العربية من حيث الترقيق والتفخيم ثلاثة أقسام:³⁵

1- أصوات مفخمة على الدوام: وهي أصوات الاستعلاء السبعة المجموعة في عبارة " قظ خص

ضغط " ولكن مراتب تفخيمها متفاوتة.

2- أصوات تفخم وترقق: وهي اللام والراء.

3- أصوات مرفقة دوماً: وهي باقي الأصوات، والصوائت ليست بمعزل عن تأثير السياق فيها بسبب طبيعة الأصوات المجاورة لها «لكن آثار هذا التأثير لا يظهر في الكتابة.»³⁶ فهي «لا توصف بترقيق ولا بتفخيم، بل بحسب ما يتقدمها فإنها تتبعه ترقيقاً وتفخيماً.»³⁷ وبناء على هذا، فإن الكسرة العربية قصيرة وطويلة، يتنوع النطق بها بين الترقيق والتفخيم، لأنه يلحقها ما يلحق الصوائت التي تكتنفها، وبهذا تكون الكسرة على ثلاثة أضرب، كما يظهر في الشكل الآتي:³⁸



يتبين من الشكل أعلاه ما يلي:

- الكسرة المرفقة إذا جاورت الأصوات المرفقة نحو (سليم) وعلامتها /أ/ هي أقرب إلى الصائت المعياري رقم (1) ورمزها K « من حيث أمامية اللسان ودرجة ارتفاعه، ومن حيث تقدم أو تأخر أعلى نقطة من هذا الجزء المرتفع.»³⁹
- الكسرة الوسطى (التي بين التفخيم والترقيق) وعلامتها /أ/ وموقعها في منطقة دانيال جونز رقم (1) ورمزها L نحو قولنا قسم، وذلك إذا تبعت أصوات: ق خ غ.
- أما الكسرة المفخمة مثل ضريح: فعلا منها أيضا /أ/ وموقعها في الصائت المعياري رقم (1) ورمزها M ولكنها تختلف عنها في شيئين واضحين هما:

* الأول: مقدم اللسان أقل ارتفاعاً مع الكسرة العربية منه مع المعيارية (1).

* الثاني: أعلى نقطة في الجزء الأمامي من اللسان مع الكسرة المفخمة تبعد إلى الوراء عن أعلى نقطة مع المعيارية رقم (1) فهي من حيث درجة علو اللسان تعد في المركز الوسط بين الضيقة

ونصف الضيقة، ولكنها لا تزال حركة أمامية وتكون الكسرة مفخمة إذا جاءت بعد أحد أصوات الإطباق المفخمة: الصاد والضاد والطاء والظاء.

5-1-2/ صائت الفتح: (ب) ← (BA)

وحين النطق بالفتح يهبط الجزء الأمامي من اللسان إلى أقصى حد ممكن مع ارتفاع خفيف في وسطه، إذ يبقى الفم مفتوحا بشكل متسع. وحجرات الرنين فيه كبيرة، وتكون الشفتان في هذه الحال متخذة وضع الاستواء والانبساط.⁴⁰ لذا توصف الفتحة بأنها صائت قصير، وأمامي ومنبسط (مستو) وفموي، لأن جزءا من اللسان يرتد إلى الخلف حتى يسد التجويف الأنفي، ويبقى خروج الهواء من الفم فقط، وهذا الوصف ينطبق على الفتحة المرفقة في العربية الفصحى. والفتحة أكثر الصوائت انفتاحا وهي بذلك صائت متسع إذ يحدد هذا المجال بأسفل نقطة من قاع الفم يمكن الوصول إليها.⁴¹ وهذا الوصف لصائت الفتح يخص الفتحة المرفقة ذات الرقم (4) من الصوائت المعيارية، ورمزها /a/.

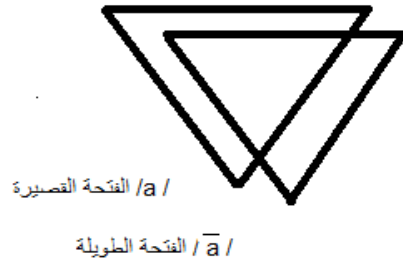
والفتحة العربية «أقرب ما تكون إلى الصائت رقم (4) ورقم (5) أو هي بينهما من حيث جزء اللسان، فأعلى نقطة من اللسان حال النطق بالفتحة العربية هي وسطه. ولكنهما مع ذلك ليست صائتا مركزيا أو وسطى بالمعنى الخاص بالصائت المعياري التاسع. فاللسان مع الفتحة العربية يكاد يكون مستويا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه. فهي إذن صائت متسع كما ذكرنا من قبل ولكن لا تبلغ في هذا مبلغ الصائتين المعياريين رقم (4)، ورقم (5).»⁴²

- أنواع الفتح:

- الفتح بين الطول والقصر: إن العرب القدامى اعترفوا بأن الصوائت على نوعين من حيث الطول والقصر، إذ إن الفتحة الطويلة والفتحة القصيرة كلاهما فونيمين مميزين يؤديان معنيين مختلفين نحو قولنا: قتل وقاتل فالفتحة الطويلة في داهم من حيث المدى الزمني الذي يشعر به السامع وكذا معنى اللفظين وكما رأينا في طول صائت الكسر بأن اختلاف الصائت الطويل عن القصير ليس اختلافا في الكمية حسب وإنما حتى في الكيفية وإن كان ذلك الاختلاف طفيفا فكذلك الطول في صائت الفتح.

كما يظهر في الشكل أدناه:⁴³

الشكل 4:



ومن أبرز التنوعات النطقية للفتح في العربية ما ذكره سيويوه (ت180هـ) في معرض حديثه عن الأصوات الفرعية (المستحسنة في قراءة القرآن والشعر)، إذ يقول « ويكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار وهي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي تكون كالزاي وألف التفخيم تعني بلغة أهل الحجاز في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة»⁴⁴. وهذه الأصوات... لا تتبين إلا بالمشافهة⁴⁵ وما يهمنا من هذا الحديث صوتان هما:

- الألف التي تمال إمالة شديدة (الإمالة)، وألف التفخيم، وسنعالجها على الشكل التالي:

-الفتح بين الترقيق والتفخيم: يتنوع الفتح في العربية بين ما يسمى بالإمالة وألف التفخيم. **أولاً: الإمالة:** الإمالة في اللغة من مِيلَ، والميل الغدول إلى الشيء والإقبال عليه⁴⁶، وفي الاصطلاح عُرِّفت بأنها: «عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة ومخرج الياء، وبحسب بُعدها تكون خفتها»⁴⁷ ويمكننا من خلال هذا استنتاج ما يلي:⁴⁸

- 1- إن الإمالة في حقيقتها ليست إلا صورة من صور نطق الألف، أو صورة من صور الفتحة، ولا تحمل أي قيمة فونيمية خاصة بها.
- 2- إن درجة إمالة الألف تختلف من سياق إلى آخر شدة وخفة، لكننا على أي حال نستطيع تحديد درجتين أساسيتين من درجات الإمالة:
- أ- إمالة قصيرة: نشأت نتيجة النحو بالفتحة إلى الكسرة، ومن الممكن أن نرمز إليها بالرمز (e) وذلك من نحو الإمالة في الكبر ومن الصغر، ومن المحاذر.
- ب- إمالة طويلة: نشأت نتيجة النحو بالألف نحو الياء، ومن الممكن أن يرمز لها بالرمز (é).

وقد عرف المحدثون صوت الإمالة بأنه صوت « يحدث من ارتفاع مقدم اللسان نحو منطقة الغار، ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة، ويكون وضع الشفتين مع الإمالة وضع انفراج إلا أنه دون الانفراج الذي يكون مع الكسرة ».⁴⁹

فالإمالة تقرب صوتي بين الصوائت، ومعناها الاتجاه بالصائت قصيراً كان أو طويلاً إلى حالة ارتكازية وسطى بين اثنين من قرينيه.⁵⁰

ومعنى إمالة الألف الانتحاء بها نحو الياء « انتحاء خفيفاً كأنه واسطة بين الياء والألف »⁵¹، فهي ليست ألفاً خالصة ولا ياء خالصة، إنما هي « حالة ارتكازية وسطى » ولا يجوز معها إلا الترقيق.⁵²

وللإمالة دواعٍ وأسباب مختلفة ومتنوعة فصلّ فيها القدماء - نحاة وقراء - وكذا المحدثون، فلا داع لتفسيرها ههنا لأن هذا يدخل ضمن الدراسة الوظيفية (الفونولوجية).

فالإمالة ظاهرة لهجية مطلقة تصيب جميع الفتحات الطويلة (على أنه يمكن التمييز في هذا الصدد بين الفتحات الطويلة الواقعة داخل الكلمة، والفتحات الطويلة الواقعة آخرها ما لم يطرأ عليها مانع من موانع الإمالة).⁵³

ثانياً: ألف التفخيم: التفخيم يخص الفتحة الطويلة أو الألف حسب التعبير القلسم، ويمكن في اتجاه اللسان إلى مؤخرة الفم أي نحو الحنك الرخو، فينتقل الجرس من الفتحة إلى الصائت (O) كما هو الشأن في النطق المفخم للكلمات الآتية (زكاة وصلاة وحياء).⁵⁴

وهذه الأصوات لم تستقل يوماً ما لتعبر عن قيم فونيمية خاصة بها بل بقيت صوراً نطقية فحسب، تميز لهجة عن لهجة أخرى من غير أن تثير إشكالا دلالياً أو صرفياً⁵⁵، وتنشأ هذه الأصوات الفرعية من جراء تعامل الأصوات الأساسية فيما بينها وفي سياقات نطقية متنوعة ومتعددة.

5-2/ الصوائت الخلفية: وتتمثل في الضمة العربية بنوعيهما الطويل والقصير.

- صائت الصّـمّ: بْ —<(Bo)

ويتكون هذا الصائت في العربية حين يصبح أقصى اللسان أثناء تحقيقها أقرب ما يمكن من الحنك اللين واللهاة، وحجرة الرنين الفموية مع وضع ضيقٍ للسان إلى حد ما، بحيث يكون هناك متسع في مجرى الهواء دون أن يؤدي إلى أي نوع من الاحتكاك، ثم يتابع الهواء سيره إلى الشفتين اللتين تأخذان شكلاً مستديراً لتشكيل الضم.⁵⁶

والضمة العربية أقرب ما تكون من الحركة المعيارية رقم (8) أو هي مثلها مع فرقين:⁵⁷

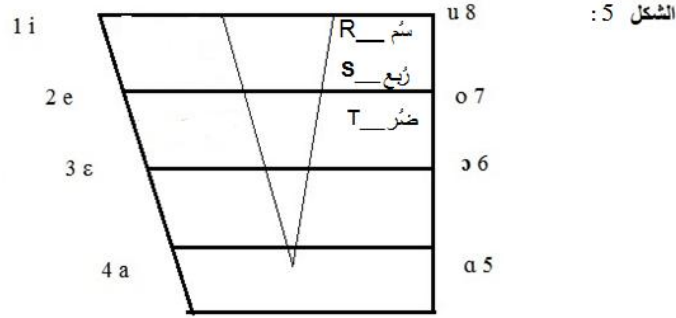
الأول: إن الجزء الخلفي من اللسان حين النطق بالضمة حركة ضيقة ولكن ليس بالدرجة التي تصل إليها المعيارية في ذلك.

الثاني: إن أعلى نقطة في هذا الجزء الخلفي من اللسان تنحو نحو الأمام قليلا أو بعبارة أخرى، إن أعلى نقطة في الجزء الخلفي من اللسان مع الحركة العربية (الضمة) تكون أمام أعلى نقطة في هذا الجزء نفسه حال النطق بالمعيارية رقم (8). ومع ذلك فالضمة العربية حركة خلفية، لكنها لا تبلغ مبلغ المعيارية رقم (8) في هذا الشأن.

للضم أنواع نطقية متفرعة عنه كما رأينا مع قرينه الفتح والكسر.

- الضمة العربية القصيرة قد تزداد قصرا في مواضع معينة أثناء الأداء الكلامي لها في السياق، وقد يزداد النوع الطويل من الضم عن مداه الزمني أضعافا مضاعفة، لكن من دون تغيير في المعنى.

- الضم بين الترقيق والتفخيم: الضمة العربية يتنوع نطقها بين التفخيم والترقيق في ظروف سياقية خاصة - شأنها شأن الفتح والكسر - إذ نجدها على ثلاثة أضرب كما يظهر لدينا في الشكل الآتي:⁵⁸



- الضمة المرفقة وعلامتها /u/ وموقعها أقرب إلى صائت دانيال جونز المعيارية رقم (8) ورمزه R.
- الضمة الوسطى وعلامتها /u/ وموقعها قريب إلى صائت دانيال جونز المعيارية رقم (8) ورمزه S.
- الضمة المفخمة وعلامتها /u/ أقرب إلى صائت دانيال جونز المعيارية رقم (7)، ورمزه T.
- وعلى هذا المسار فإن الصوائت العربية من حيث الناحية الوظيفية ستة وهي: الفتحة والفتحة الطويلة، والضمة والضمة الطويلة، والكسرة والكسرة الطويلة.

- أما من حيث الجانب النطقي فهي أكثر من ذلك، يكون موقعها على المخططات السابقة كالآتي: ⁵⁹

- الكسرة المرققة والوسطى والمفخمة تبدأ من رقم 1 وباتجاه الرقم 3.
- الفتحة المرققة والوسطى والمفخمة تبدأ من رقم 4 وباتجاه الرقم 6.
- الضمة المرققة والوسطى والمفخمة تبدأ من رقم 7 وباتجاه الرقم 9.

وبناء على ما سبق يمكننا القول إن الصوائت العربية لا تربو عن ستة فونيمات؛ ثلاثة قصيرة تمثل الكسرة والفتحة والضمة، وثلاثة طويلة هي الياء المدية وألف المد والواو المدية وما عدا ذلك فيُعد من قبيل التنوعات النطقية (des allophones) التي ليس لها أي قيمة فونيمية، وهذه الصوائت مع قلة عددها تعادل جميع الصوائت من جهة أهميتها في تحوير المعاني وتغيير الدلالات؛ لذلك فهي شطر اللغة ولا يمكن تكوين كلمة بدونها.

خلاصة:

نستخلص مما سبق في هذه الورقة بعض النقاط نجملها كالآتي :

- تلعب الصوائت دورا كبيرا في في التمييز بين اللغات، فهي التي تحدّد طبيعة أي لغة من حيث نطقها وتركيبها ثم إنّ اختلافها من لغة إلى أخرى يجعل النطق بها من قبل الأجنبيّ شاقّا عسيرا لصعوبة وصفها، على خلاف الصوائت التي يشترك في نطقها كثير من اللغات. لهذه العوامل وغيرها جعلت العلماء والباحثين يجتهدون في استنباط مقاييس عامّة تقاس بها كلّ لغة وتنسب إليها.

- تتميز الصوائت بالوضوح السمعي وقوة الرنين؛ ذلك لأنها مجهورة وهذا ما يجعلها أكثر دورانا على اللسان.

- توجد في العربية ستة فونيمات من الصوائت بتغييرها يتغير المعنى وهي: الفتحة والفتحة الطويلة، والكسرة والكسرة الطويلة، والضمة والضمة الطويلة، وقد تتنوّع في السياقات اللغوية إلى ألفونات مختلفة لا تؤدي إلى تغيير الدلالة كالإمالة والتفخيم.

- ¹ - المنهج الصوتي للبنية العربية، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، دط، 1400هـ-1980م: 26.
- ² - الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة 04، 1971: 08، وينظر: المنهج الصوتي للبنية العربية: 27، وأضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، نايف خرما، مطابع القنطرة، بيروت، 1978: 254.
- ³ - ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، الطبعة 01، 1418هـ: 209 ومبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق-سوريا، ط2، 1999: 58، و Phonetics, O'Connor, Penguin Books, England, 1991: 106.
- ⁴ - ينظر: دراسة السمع والكلام، لسعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1401هـ: 193-204.
- ⁵ - التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411: 47/1.
- ⁶ - علم اللغة العام: الأصوات، كمال بشر، دار المعارف، مصر، دط، 1980: 105،
- ⁷ - ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة أحمد مختار عمر، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1982: 78-81.
- ⁸ - ينظر: الكتاب، سيويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، مصر ط2، 1402هـ: 241/4-242، واللغة العربية معناها ومبناها، تمام حستان، دار الثقافة، الدار البيضاء: 70-71.
- ⁹ - الخصائص، ابن جني، تحقيق محمد علي التّجّار، دار الكتاب العربي، بيروت: 130/3، وسر صناعة الاعراب، ابن جني، تحقيق حسن هندراوي، ط1، 1405: 1-6/1 و 17-27.
- ¹⁰ - ينظر: اللغة، فندريس، تعريب عبد الحليم الدواخلي، محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، 1950: 46، ودروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، نقله إلى العربية وذيله بمعجم صوتي فرنسي-عربي، صالح القرمادي، نشرات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، دط، 1969: 143، 144. والألسنية العربية، رمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت-لبنان، ط2، 1981: 41.39.
- ¹¹ - ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 145. وعلم اللغة العام- الأصوات- كمال بشر 1980: 144. والألسنية العربية: 41.
- ¹² - ينظر: مبادئ في علم اللسانيات الحديث: شرف الدين الراجحي، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2003: 207-208.
- ¹³ - ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 143-144. و في الأصوات اللغوية: 34، 35. والألسنية العربية: 40، 39.
- ¹⁴ - ينظر: دروس في علم أصوات العربية: 145، 146، و 149، 148. و في الأصوات اللغوية: 37، 38.
- ¹⁵ - دروس في علم أصوات العربية: 147. وينظر: التطور النحوي للغة العربية، برجيشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، دط، 1997: 54.
- ¹⁶ - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 29-31، وعلم اللغة العام - الأصوات: 137. ¹⁶
- ¹⁷ - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 31-32، ودراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1985: 125، وعلم اللغة العام - الأصوات: 139.
- ¹⁸ - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 31-32، وعلم اللغة العام - الأصوات: 139.
- ¹⁹ - ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 31-32، وعلم اللغة العام - الأصوات: 139.

- * قدم دانييل جونز في القرن العشرين أشهر عمل، و هو وضع نظام متكون من ثمانية صوائت رئيسية تمثل كل اللغات وأطلق عليه اسم الصوائت المعيارية، ينظر: دراسة الصوت اللغوي، احمد مختار عمر: 102 و 125، و علم اللغة العام- الأصوات لكمال بشر: 139.
- ²⁰ - ينظر : الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 33، دراسة الصوت اللغوي: 126-127، و الأصوات، كمال بشر: 139-143، و مبادئ اللسانيات لأحمد محمد قدور: 90
- ²¹ - الألفوفون: مصطلح صوتي يراد به الصورة الصوتية أو النطقية المحققة للفونيم في السياق، ولكن تغييره لا يؤثر في المعنى، ينظر : مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور: 76.
- ¹⁶ - ينظر: علم اللغة العام- الأصوات - كمال بشر: 140.
- ²³ - ينظر: الأصوات ، كمال بشر: 151.
- ²⁴ - معجم علم اللغة النظري، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، د.ت: 235، وينظر مصطلحات الكمية الصوتية في تراث العرب الصوتي، المهدي بوروي، عن مجلة المصطلح، مجلة علمية أكاديمية، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، العدد 3/2005: 18-26.
- ²⁵ - ينظر: دراسة الصوت اللغوي: 282، وفي الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد العربية: 37-38، والصوتيات والفونولوجيا: مصطفى حركات، دار الآفاق الجزائر ، د.ط، د.ت: 273.
- ²⁶ - ينظر: الأصوات لللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 201.
- ²⁷ - الكتاب، ج4، سبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة- مصر، ط2، 1982: 202.
- ²⁸ - ينظر: أبحاث في أصوات العربية، حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1998: 133، والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: 158.
- ²⁹ - ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، أشرف على تصحيحه الأستاذ علي محمد الضباغ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ط، د.ت: 121./2.
- ³⁰ - نفسه.
- ³¹ - ينظر: في الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد: 173.³¹
- ³² - ينظر دروس في علم الأصوات العربية، جون كاتنينو: 150-154. والمحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، دار الشروق العربي، بيروت، ط1، 1971: 31-38.
- ³³ - ينظر: في الأصوات اللغوية: 40/41.³³
- ³⁴ - مبادئ اللسانيات: 116، وينظر: مناهج البحث في اللغة: 194، والأصوات اللغوية: 170، ودراسة الصوت اللغوي: 188.
- ³⁵ - ينظر: علم اللغة العام، الأصوات: 152. و المختصر الجامع لأصول رواية ورش عن نافع، عبد الحليم محمد الهادي قابة، دار البلاغ للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2002: 52.
- ³⁶ - في الأصوات اللغوية 280.³⁶
- ³⁷ - النشر في القراءات العشر: 215/01.³⁷
- ³⁸ - علم اللغة العام- الأصوات- كمال بشر: 153. والأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 210.³⁸

- ³⁹ - علم اللغة العام-الأصوات- كمال بشر: 153.
- ⁴⁰ - ينظر الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل 209، وعلم الصرف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل، أزمة للنشر والتوزيع عمان الأردن، ط1، 1998، 338-339، وعلم اللغة العام: الأصوات 140، ومبادئ اللسانيات، حولة طالب الابراهيم، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، دط 2000: 60.
- ⁴¹ - ينظر اللغة، فندريس: 46، 1950، وفي الأصوات اللغوية: 29.
- ⁴² - ينظر علم اللغة العام- الأصوات: 152.
- ⁴³ - ينظر: الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل: 201.
- ⁴⁴ - الكتاب سيبويه، 4/ 432.
- ⁴⁵ - نفسه.
- ⁴⁶ - ينظر اللسان ابن منظور الافريقي، مادة (ميل).
- ⁴⁷ - ينظر شرح المفصل، ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، د.ط، د.ت، 2/ 54، وفي الأصوات اللغوية، المطلي: 162.
- ⁴⁸ - ينظر: في الأصوات اللغوية: 163.
- ⁴⁹ - المحيط في أصوات اللغة العربية ونحوها وصرفها، محمد الأنطاكي، 1/ 42.
- ⁵⁰ - ينظر الأصوات اللغوية، عبد الجليل، 306-307.
- ⁵¹ - اللمع في العربية: ابن الجني، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1985: 311.
- ⁵² - ينظر النشر في القراءات العشر: ج 2/ 90.
- ⁵³ - دروس في علم الأصوات العربية: 58.
- ⁵⁴ - ينظر: في الأصوات اللغوية: 168-170، و علم اللغة العام- الأصوات-: 153.
- ⁵⁵ - ينظر: دروس في علم أصوات اللغة العربية، 163.
- ⁵⁶ - ينظر علم اللغة العام-الأصوات -كمال بشر: 140.
- ⁵⁷ - ينظر: نفسه: 152.
- ⁵⁸ - الأصوات اللغوية عبد القادر عبد الجليل، 210-211.
- ⁵⁹ - ينظر الأصوات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، 112.